التفكير طويلاً في الخيارات قبل الانسحاب من اللجنة المشتركة

بقلم : بشير البرغوثي

ولا شك ان الظروف التي بدا فيها ذلك الحوار، أثناء شهر العسل السوري الاردني قد تغيرت. وكذلك اختلف الوقت الحاضر عما كان عند القيام مؤتمر بغداد واتخاذه قرار تشكيل اللجنة الاردنية الفلسطينية المشتركة

ومن امثلة هذا التغير في الظروف ان بغداد اليوم تضع في مقام الاولوية علاقتها بالاردن. وهي بالتالي غير مستعدة، كما هو الحال بالنسبة لدول نفطية اخرى لتحويل اموال الدعم للمنظمة في حالة انهيار اللجنة المشتركة. وخصوصا اذا كانت الخطوة الاولى نحو ذلك قد اتخذت من قبل منظمة التحرير الفلسطينية. وعلى الرغم من ان هناك الكثير من التحفظات والانتقادات للطرق والاهداف التي تصرف بواسطتها ومن اجلها اموال دعم الصمود. فانها مع ذلك ليست خالية من الفوائد.. وهناك غير الناحية الاقتصادية المباشرة فائدة سياسة مباشرة تتجسد في الشعور بالتواصل الوطني عبر الحضور الفلسطيني في اللجنة المشتركة

ما هي البدائل ؟

ومن هنا فان من الضروري التفكير مليا في النتائج التي يمكن ان تنجم عن الاقتراحات القائلة بوجوب انسحاب منظمة التحرير الفلسطينية من اللجنة المشتركة

من المؤكد انه لو كان الوضع العربي على غير ما هو عليه الان. لهامن قبل قوات الردع العربية

وفي مثل هذه الظروف الخطيرة والتهديد العسكري المستمر في الجنوب. اجتمع المجلس المركزي لمنظمة التحرير الفلسطينية وسيجتمع المجلس الوطني الفلسطيني كما ذكرت الانباء في شهر نيسان

محاذير تستحق المراعاة

ولعل في مقدمة المحاذير الواجب اجتنابها عدم مراعاة الظرف الملموس الذي تمر به حركة التحرر العربية في الوقت الراهن. والمصاعب التي تعترض وحدتها واستلامها لزمام المبادرة في العمل العربي.

لقد كانت هناك آمال وتوقعات حول الحوار الاردني الفلسطيني ولكنها لم تتبلور في نتائج محددة. وان كانت قد حافظت على "شعرة معاوية"، واقامت صربا صغيرا ضيقا ومحدودا مع الفلسطينيين كان محرما عليها اقامته بعد ايلول ١٩٧٠.

ومعروف ان هذا السرب الضيق لم يكن موضع ترحيب كبير في عمان خصوصا بعد اتضاح صعوبة قطف ثمار سياسية من ورائه على سبيل المقايضة

وكانت جبهة الصمود والتصدي تضطلع بمسؤوليتها وتتمسك بزمام المبادرة في العمل القومي العربي. لما كان صحيحا القبول بالنتائج المحدودة التي توصل لها الحوار الفلسطيني الاردني. ولما كان صحيحا ايضا الموافقة على الدور الفلسطيني المتواضع في تسيير اعمال اللجنة المشتركة. ولكن هذا الدور مرتبط الى حد كبير بتوازن القوى على الساحة العربية. وكلما اختل هذا التوازن لصالح اليمين العربي كلما تقلصت فرص تطوير الدور الفلسطيني في اللجنة المشتركة وتحول الحوار الى ما يشبه حوار الطرشان. ويكاد يكون من المؤكد ان هذا الدور المتواضع سيزداد تواضعا مع اشتداد الخلاف بين الاردن وسوريا ومع رسوخ التعاون بين بغداد وعمان والرياض ودول الخليج الاخرى. ولكن من المستبعد ان تخطو الحكومة الاردنية الخطوة الاولى في الغاء اللجنة المشتركة طالما انها تستطيع "تفصيل" صلاحياتها في الظروف الحالية بصورة تتناسب مع سياستها. وبطريقة تدفع عنها وعن حلفائها حرج التنكر لمقررات مؤتمر قمة بغداد..

ينتظرون خطوة من المنظمة

وهي لذلك تنتظر هذه الخطوة من جانب منظمة التحرير لتضعها في قفص الاتهام ولتعيد بوضوح اكثر ما رددته اثناء وبعد انعقاد مؤتمر عمان من تلميحات متشككة في "استقلالية" المنظمة. وفوق هذا فانها ستخذ اجراءات ادارية وانتصادية صارة بمنظمة التحرير وبالمطالب المحدودة التي حصلت عليها نتيجة الحوار

ومن الواجب ان لا نغفل حقيقة اساسية اخرى وهي ان العديد من المؤسسات في المناطق المحتلة قد اقام خططه ومشاريعه على افتراض وجود اللجنة المشتركة. وعلى اساس الحصول على دعم منها. وهذه المؤسسات تجد نفسها في وضع صعب من الناحية المالية ان هي اوقفت التعامل مع اللجنة المشتركة في حالة انسحاب منظمة التحرير منها. وفي وضع سياسي محرج ان هي قبلت بالتعامل مع الطرف الاردني بعد انسحاب منظمة التحرير.

ومن هنا فان الحاجة ماسة قبل البت في اقتراحات الانسحاب من اللجنة المشتركة الى التفكير فيما اذا كانت هناك بدائل عملية للدور الذي تقوم به. وفيما اذا كان ممولو اللجنة المشتركة سيقبلون بتحويل حصتهم من الاموال المخصصة لتلك اللجنة الى تلك البدائل.

ان من الممكن تجاوز كل هذه المحاذير لو كان للانسحاب الفوري من اللجنة المشتركة نتائج ثورية على الوضع العربي او على الوضع في الاردن. ولكن هذه النتائج غير متوقعة في المدى القريب. وسيمر الانسحاب كاحتجاج عابر. اما نتائجه السياسية فلربما كانت ابعد مدى واقل نفعا للمنظمة من البقاء في اللجنة المشتركة والنضال من اجل تحسين عملها وزيادة الدور الفلسطيني فيها

التوسع

عادة جندي اسرائيلي أعمال الاضطهاد في المناطق المحتلة

التجول ال
طقة السوق
بعد مرور
من تجار
دار بلدن
بلدية
عودة الم
قرارات
نيلي
..

في عام ١٩٦٩ كان
ربما لاننا كنا
م نتخلص بعد من جو
عام ٦٧ .. اعلم
انهم بدأوا
وصول وحدتنا هناك

كانوا يستد عوننا
ل في مدرسة ما. ثم
الرقيقة القوية حيث
ان نشق طريقنا الى
بينما جميع الطلاب
ون بسرعة الى غرف
ذلك تضربهم
لاندنا فيدخل الى
ال: من المعلم هنا؟
وعندما يصفعه القائد
يوجه اوامره
ب الى البيت.
الطلاب الخائفون
الوقت الذي نكون
ستقيم في الممر
خارج وكل من يخرج
فوض لضرباتنا على
دة عمليات من هذا
هناك "مشاكل" في
س ان هذا كان بعد
حرب الايام الستة وما
لا يقرن بالنسبة لما
حرب.

١٣ عاما لقد تغير
طلاب يقفون في
بدأون بالاناشيد
ن الفلسطيني
في الوقت الحالي.
ع مدير المدرسة
فتح المدرسة
ولد الفتيان ان لم
فهم وطالباما كنا
من بعد

لطالما تحدثت الصحف الاسرائيلية في المناطق المحتلة، باتت امرا معروفا بعد مرور ... ولئك الذين يعانون على جلودهم نتائج هذه الممارسات ... في القصة التالية انها اتت على لسان احد الجنود ... الذي قضى فترة خدمته العسكرية في المناطق المحتلة، وهو ... من تجار... منه "اصدقاؤه" من الجنود ضد المواطنين العرب .... دار بلدن... من اهله هذه المرة عن ممارسات جنود الاحتلال.

سقوط عشرات الجرحى والمعتقلين.

في احدى المرات سألت نائب المفوض ما هي المشكلة اذا تركناهم يفتون به. فاجاب ان هذا ليس من شأننا وحثني ان اتوقف على التفكير بمشاكلنا لان هذه هي الاوامر ويجب تنفيذها كما هي. ومع ذلك فانني لا ازال اتساءل لماذا علينا، قتال، هؤلاء الاطفال بسبب هذه الاغاني التي لا نفهمها. وعلى كل حال ما الذي نفهمه؟ حصل ان ابلغت احدى الدوريات الصباحية ذات يوم ان هناك شعارات على الجدران لم تكن مكتوبة في الليلة السابقة. وعندما سأل المفوض عما تقوله هذه الشعارات، اجابه الجهود:

لا نعرف ولا يوجد احد منا يستطيع قراءتها. فرد عليهم قابضا على احد السكان واساله؟ وبعد دقيقتين اتصلت الدورية وقالت ان هذه الشعارات موجهة ضدنا. فقال لهم المفوض اريد ان اعرفها كلمة كلمة. عندما اجابوه "جميع اليهود يضاجعون الحمير" وفي مثل هذه الحالة، تقوم وحدة خاصة مزودة بالمعدات اللازمة لازالة الشعارات واجراء "بعض" الاعتقالات. وهذه ليست اللعبة الوحيدة. فعندما تذهب الى مخيمات اللاجئين عليك ان تحترس من "الحجارة الطائرة". انهم يبنون حاجزا طويلا وعال على عرض الطريق وعادة ما تترك فيه فتحات خاصة. ومن خلال هذه الفتحات يمكن مراقبة سيارة القيادة وقذفها بالحجارة. ومع ان هذا ليس خطيرا لكنه ليس سلميا ايضا.

اما الذي نفعله بعد ذلك فيكون كما يلي:

ندخل ونأخذ هوية اي شخص نصادفه في طريقنا ونرسله ركضا الى مقر الحاكم العسكري. وهي ليست "مزحة" ان تتجول في المناطق المحتلة بدون هوية. وبهذا فهم يسرعون الى مقر الحاكم العسكري وينتظرون. ويتجمع في الساحة العامة لمقر الحاكم العسكري اكثر من ١٥٠ شابا مع بعض الجنود للحراسة. واذا كان الجنود "طيبعيين" لا شيء يحدث. واذا كان الجنود "حيوانات"! فتعرف القصة من التصرفات والاعمال الصغيرة دفعة هنا وركله هناك!! وهذا طبعا قبل حشرهم داخل غرفة واستجوابهم. ماذا يحدث داخل هذه الغرفة — لا اعرف ولا اريد ان اعرف! ما شاهدته في احد اشهر الخدمة كان كافيا ليجعلني مريضا. ولكن ماذا علي ان افعل ازاء ذلك. هل اعلن رفضي للخدمة في المناطق المحتلة واسجن؟ ولكنني سوف احاول في المرة القادمة ان اخدم في القاعدة. من الافضل ان اجلس واعبئ حقائب الجنود في المخزن على ان اعمل في الخارج. ربما كان هذا العمل مملا ولكنه لن يجعلني اتالم من الداخل.

في احدى الامسيات كنت اقوم مع وحدة من الجنود باعمال الدورية الليلية. وقبل انتهاء فترة عملنا بقليل توقف السائق فجأة وقفز جنديان الى الارض وسحبا احد الاولاد الذي كان يسير على الشارع. سألت: ماذا حدث. اجابوا: انه يشاكسنا! فماذا فعلوا: القوه داخل سيارة الدورية واستانفوا سيرهم. في الطريق قاموا بركله في جميع انحاء جسمه. وكان الصبي يتقوقع داخل السيارة ويديه حول راسه. لا يصرخ لا يبكي يتلقى الضرب بسكون. وواصلنا السير حتى وصلنا "غابة كندا" وهناك قذفوه خارج السيارة. لقد فعلت اشياء كثيرة اسوا من ذلك في حياتي. ولكن هذه المرة اصبت بالجنون، لو كنت في وحدتي لقلت شيئا. ولكنني لم اكن اريد التدخل في هذه الوحدة. انك لا تعرف ماذا يحدث عندما تمنح السلطة لاحد الفتيان! اعطهم السلطة وضحية ضعيفة وسوف يصبحون حيوانات.

في الاسبوع الثاني لخدمتي. كان معي احد الجنود على احد حواجز الطرق، اسمه "سويسا" عندما تنظر اليه تحسبه شابا طيبا. ولكن عندما يتجه الى حاجز التفتيش يتحول الى حيوان متوحش. ماذا اعني بحيوان؟ انني لا اتحدث عن اطلاق الرصاص على السكان وقتلهم. ولكنني سأعطي مثالا لنفرض ان احد الباصات المتجهة من احدى القرى الى القدس قد وصل نقطة التفتيش. يصعد سويسا الى الباص ويطلب بطاقات الهوية وبعد تأخير طويل يقرر من خلال النظر الى وجوه المسافرين. من يبقى في الباص ومن يرجع الى بيته وكنت اشاهدهم يغادرون الباص ويعودون الى بيوتهم محبطين لانهم فقدوا يوم عمل، محبطين لان "سويسا" يريد ذلك. السبب انه يمتلك السلطة. ليس هناك صحف او استئنافات للمحكمة العليا او اي شيء آخر. وما يريده "سويسا" "ماشي". مثالا آخر حصل مع "سويسا" ايضا. كنا على حاجز التفتيش واحد الاولاد يسير على دراجته. ما الخطأ الذي اقترفه؟ اندفع اليه "سويسا" دفعه عن الدراجة وصرخ فيه: "اين هويتك؟ اجابه الصبي، لا احمل هوية..؟ انا في الرابعة عشر من عمري، وكان رد "سويسا": لا انك في السادسة عشر اعطني هويتك، عندما بدا الصبي يستعطف. ويبكي ولكن هذا لم يساعده. امره "سويسا" ان يترك دراجته ويذهب الى البيت ويحضر هويته. لم اكن اريد التدخل وربما كنت على خطأ لا اعلم. فكرت انه ليس من الصحيح اندخول في نقاش مع "سويسا" امام الصبي. ولكني بعد ذلك قلت "لماذا يا سويسا"؟ لماذا تتصرف هكذا معه؟؟ لم يجب على سؤالي! ان ما يدفعني الى الجنون هذه الاعمال الصغيرة التي تحدث هناك وكل ساعة. ماذا نستفيد منها..

واذكر مرة عندما اعتقلنا احد الشبان من احدى القرى وذهبنا به الى "المسكوبية" لقد كان الجو باردا. وعندما جاء الضابط وسألنا عنه. وعرف انه من المناطق المحتلة وكله على اعصابه التناسلية وبدا العربي يتلوى وكأنه قسم نصفين نظر الضابط الينا ضاحكا وقال "ان هذا مجرد "جس نبض" ولم نبدأ بعد".

ماذا بعد، وربما كنا عام ١٩٦٩ لا نكترث لهذه الاشياء، لاننا كنا نعتقد ان هذا سيستمر لمدة قصيرة ثم ينتهي ولكننا الان — وبعد مرور وقت طويل — لا نزال نذهب الى المدارس ونفرق المظاهرات ربما لا يوجد لنا خيار آخر ولكن لننظر ما فعل هذا بنا. فبعد سنين سيذهب ابني الى الجيش وبالطبع سوف يقوم بهذه الاعمال ايضا.

في النهاية اود ان اروي الحادثة التالية:

يوم السبت الماضي جلست مع احد الجنود في وحدتي في احد المقاهي العربية، كنا نشرب، رأينا فتاة صغيرة تبلغ الثانية او الثالثة من عمرها تقفز وتلعب وترقص في مواجهتنا وكنت ابتسم لها لكنها جاءت مسرعة وركلتني وبصقت على وقالت "يهود" وذهبت وهي تضحك مسرورة. ماذا استطيع ان افعل لها؟ نظرت حولي كان جميع العرب الجالسين هادئين. ينظرون الي. فيما اذا كنت سأفعل بها شيئا. انها قتلتني ولهذا قررت ان اعمل في مخزن العسكر، او اي وظيفة اخرى في العسكر يأمرولي بها. ولن اذهب هناك الى المناطق ابدا.